تفسير سورة الاعراف الحلقة60

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**قَالَ أَلْقُوا ۖ فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ(116)**

**وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ(117)**

**فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(118)**

مواصلة الحديث حول قصة موسى ومواجهته لفرعون والسحرة:

قال تعالى: "قال ألقوا"، موسى يتكلم بكل ثقة واستصغار لما يمكن أن يأتي به السحرة. فهو يثق بما سوف يأتي وسيطرح فكل ما جاء به مهما كانت عظمته، فهو في مقابل ما سيأتي به موسى مُسدّدًا من الله. فهو أكثر فهو يحمل كل الثقة والاطمئنان في ذلك، كما في قوله تعالى: "فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ / قَالَ كَلَّا ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ / فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ ۖ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ". لأنه يحمل ثقة ومطمئن، ما جاء به من عند الله سبحانه وتعالى، فهو مطمئن بأنه هو المنتصر في هذه المواجهة، وبقدر ما يحمل الإنسان من ثقة بالله سبحانه وتعالى، فإن الله يفتح له ويسدد.

قال تعالى: "فلما القوا سحروا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاستَرهبُوهُمْ وَجاءوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ". سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ بما أعدوا من أسباب خفية تجعل العصي والحبال تتحرك كما يقولون من الزئبق وبعض المواد الكيميائية وضعوها، فصارت مع حرارة الشمس تتحرك فكانها واقع وكأنها حية تتحرك، ولكن لا تتعدى كونها تتحرك في الظاهر. لماذا جاءوا بسحر عظيم؟ الجواب:

1) لأنهم جعلوا الناس يصدقون بكثرة الحركة وكثرة العصي، كما قيل: "كم العصي وكم السحرة" كما قيل بين 70000 أو 80000 ساحر، وكلهم يحملون العصي ويضعونها وهي تتحرك، في مجموعها تتبين حركة كبيرة وعظيمة.

2) عظيم لخفاء الحيل على الناس. لماذا سماه الله عظيم؟ لأنه لا يعرفه الناس ومخفى عن الناس، والعظيم هو ما يملأ الصدر. يعني ملئوا صدور الناس رهبة وخوفًا منهم.

3) أن السحرة أوجدوا مشهدًا من مؤثرات كثيرة كان عظيمًا مهيبًا. المشهد الذي أوجده السحرة لم يكن بين ليلة وضحاها، إنما جمعوا وجمعوا وجعلوا مشهدًا كبيرًا بحيث من يراه يتأثر به من خلال الجمع والعقل الجمعي

.4) ولأن ما جاء به من أدوات يستعملونها تبلغ عشرات الآلاف، كما يقولون أدوات كثيرة، حتى جعلوا ذلك المشهد مشهدًا عظيمًا مؤثرًا. وليس السحر أنه جاء موسى وجاء السحرة في طرف ثاني عندهم بعض الحبال والعصي، ثم صارت مواجهة. وإنما جعلوا المشهد عظيمًا فيه أدوات كثيرة فصار عظيمًا. ولعظم المشهد ولهول المشهد، وصفه الله سبحانه وتعالى قال "عظيم". وقال في موضع آخر عن نفس هذا المشهد "فأوجس في نفسه خيفة موسى". يعني هذا المشهد العظيم الذي جعلوا، أوجس موسى خيفة في نفسه من هذا المشهد. ما هي الخيفة؟ طبعًا التي أوجسها موسى في نفسه، لانه خاف صدق السحرة؟ الجواب: لا، أوجس خيفة في نفسه كما فسرها علي بن أبي طالب، أوجس خيفة في نفسه على الناس أن لا يصدقوا دعوته ويطمئنوا ويصدقوا بدعوة السحرة. لماذا؟ لأن المشهد عظيم، يمكن أن يؤثر في النفوس البسيطة. المشهد عظيم جعل الانتصار على موسى مسلم. تصوروا أن المشهد وأن الانتصار مسلم، فعلت الصيحات وارتفعت وارتسمت الابتهاجات على وجوه الجميع، على وجه فرعون، لما وجد من عظم ما جاء به السحرة وملؤه، والناس صاروا كلهم مبتهجين لهذا المشهد، وأن الانتصار محقق لا محال، وموسى ينتظر أمر ربه لا يثيره لغط ولا صيحات في الطرف المقابل. موسى مستقر، لا يتأثر ولا يثار بما يراه من صيحات الأعداد التي تمت الساحات والجمع الكثيرة والحركات الكثيرة والعصي الكثيرة، الآلاف لا تؤثر ولم تغير في شيء. وإنما ينتظر أمر ربه مسلم لأمر الله. ماذا يقول الله؟ قال: "وأوحينا إلى موسى أن الق عصاك". جاء الوحي من الله أن الق العصا، هذه العصا في روايات كثيرة وكثيرة، ولها استعمالات استعملها موسى كثيرة وكثيرة على أي حال. "وأوحينا إلى موسى أن الق عصاك" يستفاد أنه عليه السلام مسلم لربه واثق به، كما قال "إن معي ربي سيهدين". ثقة تامة واطمئنان تام. "فإذا هي تلقف ما يأفكون"، انقلب المشهد، وانتهت الصيحات والضجة وانتهى السحر والحركات تعطلت، حركات العصي والحبال حينها أيضًا، وانتهى كل شيء. والفرح تغير إلى كآبة وحزن وخوف، وجاء الواقع ثعبان ضخم عظيم، كما وصفه القرآن الكريم. ثعبان ضخم عظيم، حجمه في الروايات كما يذكرها السيد الطباطبائي، ولهوله وعظمته يستبعدها المستبعد ويصدقها من يحسن الظن في الرواية. عظيم يبتلع ما أمامه. هذا الثعبان يبتلع كل شيء أمامه. يُروى أنّه يفتح فمه فيكون طرف في الأرض وطرف فوق قبة فرعون لعظمه. عندما نظر فرعون إلى جوفه، رأى هذا الثعبان العظيم، افتح فمه ويراه نيران ملتهبة تتدلى داخل فمه. فكم هو مشهد عظيم! المشهد العظيم والرهيب والأغرب والأعظم، كيف كان أثره في الناس؟

1) قيل: اغمي على بعض الناس من هذا المشهد العظيم. طبعاً، يتوقع أن يصاب بعض الناس بالإغماء عندما يتصورون هذا الثعبان الضخم بهذه الصورة، هذه التصورات مشهورة في الروايات. وأيضًا، هناك أشخاص آخرون فروا من الخوف، وآخرون ماتوا، وآخرون صاحوا وصرخوا من الخوف. ملأ فرعون يفكّر في مستقبله وأين يقفون وأين يجعلون أنفسهم. الأمور تغيرت، وفرعون مبهوت من الخوف وخجول من الانكسار والهزيمة. وجد نفسه صغيرًا وحقيرًا هو ومن معه، مبهوت من هذا الموقف. ثم هاجم الناس على فرعون ومن معه، يعني أشخاص يقولون "خدعتمونا ظللتمونا"، تبين الحق وانقلبت الأمور رأسًا على عقب. ما هي دلالة وأثر هذا الموقف؟ تلقف ما يأفكون. إنها واقع وحقيقة لا يشك فيها أحد. لماذا جعلها تلقف ما يأفكون ولم تقل تعطل؟ فقط لأنها تعطل يعني سحر يقابله سحر مثلاً أقوى منه ويقوم بإبطاله. لكن عندما ترى هذا الثعبان الضخم يبتلع كل شيء ويأكل كل ما في الطرف الآخر، هذه حقيقة لا يشك فيها أحد، مجرد أن يروا هذا المشهد يؤمنون به.

2) ابتلاع العصي يفهمونه السحرة لأنهم أهل الاختصاص. السحرة مجرد أن يروا هذا يفهمون. يقولون: "هذا واقع" لأنهم متخصصون في السحر وهم أعلى علماء السحر في ذلك الوقت.

3) أن السحرة هم أعلى المتمرسين فيه، فتسليمهم وهم معروفون بتسليمهم لمعجزة موسى يجعل الناس يسلمون وينقلبون. يجعل الآخرين أيضًا يسلمون وينقلبون.

4) ولأنهم علموا أن قوة غيبية هي وراء موسى ومعجزته، فلا يمكن أن تكون هذه الأمور من السحر ولا تكون أمور اعتيادية. تلقف ما يأفكون هذه هي أول ضربة لفرعون وجهازه. ثم تأتي الضربات الأخرى من تسليم السحرة كما يأتي.

والحمد لله رب العالمين.